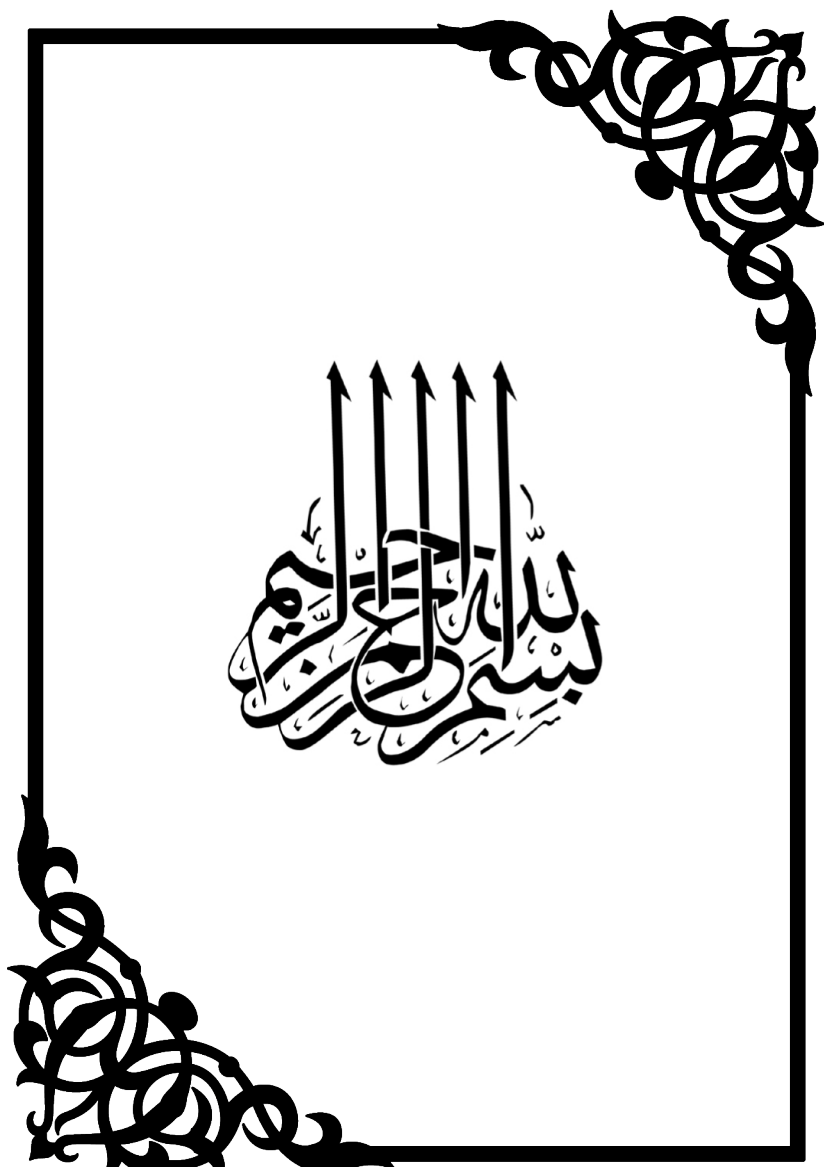






سلسلة قضايا بصرية في الفكر والعقيدة (٣)

حوار قناعة البصري

مع الإمام الباقر عليه السلام

(عرض و تحليل)

تأليف

الشيخ علي الغزي

مركز دراسات البصرة



الْعَتَبَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ الْمَقْدَسَةُ

قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية
مركز تراث البصرة

البصرة - شارع بغداد - حيّ غدير خم

هاتف: ٠٧٨٠٠٨١٦٥٩٧-٠٧٧٢٢١٣٧٧٣٣

البريد الإلكتروني: basrah@alkafeel.net

الغزي، علي سعدون عكوش، 1980 -

حوار قتادة البصري مع الإمام الباقر عليه السلام : (عرض وتحليل) / تأليف الشيخ علي الغزي. - الطبعة الأولى. - البصرة [العراق] : العتبة العباسية المقدسة. قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية. مركز تراث البصرة، 1437 هـ. = 2015.

36 صفحة : مصور؛ 15x21 سم. - (سلسلة قضايا بصرية في الفكر والعقيدة ؛ 3)
المصادر : ص. 32-35 ؛ وكذلك في الحاشية.

1. محمد بن علي الباقر (ع) | الإمام الخامس، 114-57 هجرياً - أسئلة وأجوبة. 2.
قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، 118-61 هجرياً - أسئلة وأجوبة - أسئلة وأجوبة. الف.
العنوان.

BP193.15.A3 G5 2015

الفهرسة والتصنيف في مكتبة العتبة العباسية المقدسة

بطاقة الكتاب

اسم الكتاب: حوار قتادة البصري مع الإمام الباقر عليه السلام عرض وتحليل.

تأليف: الشيخ علي الغزي.

الناشر: قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية في العتبة العباسية المقدسة -
مركز تراث البصرة.

التصميم والإخراج: علي يوسف النجار.

الطبعة الأولى: محرّم الحرام ١٤٣٧ هـ - تشرين الثاني ٢٠١٥ م.

عدد النسخ: ١٠٠٠.

حقوق الطبع والنشر محفوظة على الناشر.

مقدمة المركز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ الْأَمِينِ ﷺ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ، وَاللَّعْنَةُ الدَّائِمَةُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ.

يسرُّ مركزُ تراث البصرة التابعُ لقسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية في العتبة العباسية المقدسة أن يقدمَ لقرائه الكرام، وضمن سلسلة قضايا بصرية في الفكر والعقيدة (الإصدار الثالث)، شطراً من التراث البصريِّ متمثلاً بالحوارات التي دارت بين قتادة بن دعامة السدوسيِّ فقيه أهل البصرة، والإمام أبي جعفرٍ محمد بن عليٍّ الباقر عليه السلام، بعد جمعها وتبويبها بأسلوبٍ نرجو أن يكونَ موفقاً في تلبية طموح متابعي التراث البصريِّ، وبالخصوص المرتبط منه بأهل بيت النبيِّ الأكرم ﷺ، ومنه تعالى نستمدُّ التوفيق.

مركز تراث البصرة

محرم الحرام ١٤٣٧هـ - تشرين الثاني ٢٠١٥م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

إنّ استثمار النبي الأكرم ﷺ موسم الحج في بداية دعوته العلنية لترويج دين الله الخفيف، كان سنة سار عليها أهل البيت ﷺ وأتباعهم، خصوصاً حينما انمازوا بوصفهم فرقة مستقلة بعقائدها وفقهها في زمن الإمام الباقر ﷺ، فكان موسم الحج يمثّل نقطة ملتقى محبي أهل البيت بأئمّتهم ﷺ، فيجتمعون بهم، ويتداولون شؤونهم ومسائلهم العقائدية والفقهية، حتّى عُرف عن الإمام الباقر ﷺ أنّ له مكاناً خاصاً، وموضعاً معيّناً، يجلس فيه في مسجد رسول الله ﷺ، يقصده فيه الناس، فضلاً عن خُلص أصحابه، بل من لا يعتقد به ﷺ إماماً مفترض الطاعة؛ لعرض بعض المسائل العلمية عليه، ومن أولئك قتادة البصريّ، فقيه أهل البصرة في زمانه، فقد اجتمع بالإمام الباقر ﷺ، ودار بينهما حوارٌ عن مكانة أهل البيت ﷺ، وتفسير القرآن بالرأي، وتوضيح معاني

جملة من الآيات، وبيان بعض الأحكام الفرعية، كحليّة الجبن ومنشئها، ودفع الشبهة عنها، وقد تشكّلت من مجموع هذه الحوارات مادّة علميّة قيّمة تستحقُّ أن يُهتَمَّ بها؛ لما تكشف عن موقعيّة أهل البيت عليهم السلام العلميّة، وتقدّمهم على سواهم، فعمدنا إلى جمعها وتبويبها، وتقديم مقدّمة لكلِّ جلسة حوارٍ، نعرض فيها الخطوط العريضة عمّا دار فيها، ثمّ نذكر نصّ الرواية المتضمّنة للحوار، ونُعقبها بإيضاح ما يلزم إيضاحه، ممّهدين لذلك بترجمة مختصرة للإمام الباقر عليه السلام وفتادة البصريّ، بوصفهما طرفي الحوار.

فنسأله تعالى أن يبارك بهذا المجهود ويتقبّله منّا، فإنّه أرحمُ الرَّاحمين.

علي الغزّي

٢٢ / رمضان / ١٤٣٥ هـ - ٢١ / ٧ / ٢٠١٤ م

ترجمة الإمام الباقر عليه السلام

محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو جعفر، خامس أئمة الشيعة الاثني عشرية، وُلِدَ سنة (٥٧هـ)، وتوفي سنة (١١٤هـ)، وقد كان عمره عليه السلام في واقعة الطف أربع سنوات، لقّبه رسول الله ﷺ بـ(الباقر) قبل أن يُولد؛ لأنه سيُقرُّ العلمَ بقرّاً^(١)، وبالفعل تحقّق به إخبارُ النبي الأكرم ﷺ، فقد قال فيه ابنُ حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ): «أظهرَ من مَخْبِتَاتِ كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحكم واللّطائف ما لا يخفى إلّا على منطمسِ البصيرة، أو فاسد الطويّة والسريرة، ومن ثمّ قيل فيه: هو باقرُ العلمِ وجامعُه، وشاهرُ علمِه»^(٢). وكان من أبرز الأدوار التي عمل عليها الإمام الباقر عليه السلام وأهمّها، هو «إعطاء الإطار التفصيلي الخاصّ للشيعة، بوصفهم النخبة المؤمنة المحافظة على التراث الحقيقي للإسلام والشريعة، ولأحكام القرآن»^(٣)، وقد دلّ على هذا الدّور ما رواه الكليني رحمه الله بسنده المعتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في حديث طويل جاء فيه: «ثمّ كان محمد بن عليّ أبا جعفر، وكانت الشيعة قبل أن يكون أبو جعفر وهم لا يعرفون مناسك حجّهم، وحلالهم وحرامهم، حتّى كان أبو جعفر، ففتح لهم، ويّزن لهم مناسك حجّهم، وحلالهم وحرامهم، حتّى صار

(١) يُنظر: الأئمة الاثني عشر، سيرة وتاريخ، للشيخ محمد حسن آل ياسين: ١/ ٤٧٩.

(٢) الصّواعق المحرقة، لابن حجر: ٢/ ٥٨٥.

(٣) أئمة أهل البيت عليه السلام ودورهم في تحصيل الرّسالة الإسلامية، للسيد محمد باقر الصّدر:

النَّاسُ يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا كَانُوا يَحْتَاجُونَ إِلَى النَّاسِ»^(١)، وقد جمَعته عليه السلام المجالسُ العلميَّةُ بجملةٍ من شخصيَّات المذاهب الأخر، كأبي حنيفة^(٢)، ومن تلك المجالس ما جمعه بقتادة البصريِّ، وهو ما سنعرِّضُ له في هذه الصَّفحات.

(١) الكافي: ٢/ ٢٠-٢١، ح ٦.

(٢) يُنظر: الكافي: ٢/ ٢٨٥، ح ٢٢، وتهذيب الأحكام، للشيخ الطوسي: ٦/ ٢٩٦،

ح ٣٣، وغيرها.

ترجمة قتادة البصري

قتادة بن دعامه بن قتادة، من بني سدوس بن شيبان بن ذهل، أبو الخطاب السدوسي، البصري، الأعمى، تابعي، عالم بالفقه والقرآن وتفسيره، وبالعرب وأنسابها، ثقة، ثبت، مأمون، حجة في الحديث، عند العامة^(١)، ولم يهتَمَّ بشأنه في تراجم الشيعة^(٢)، وكان يقول بشيء من القدر، وتلمذ عند الحسن البصري اثنتي عشرة سنة، وقد وُلِدَ سنة ستين من الهجرة، وهو أعمى، ومات في واسط بالطاعون سنة سبعة عشرة ومائة، فكان له من العمر (٥٧) سنة، وكانت وفاته بعد وفاة الحسن البصري بسبع سنين^(٣)، وبعد وفاة الإمام الباقر عليه السلام بثلاث سنين^(٤).

(١) يُنظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد: ١٧١/٧، رقم ٣١٣٩، والتاريخ الكبير، للبخاري: ١٨٥/٧، رقم ٨٢٧، والثقات، للعجلي: ١٥/٢، رقم ١٥١٣، والجرح والتعديل، لابي حاتم الرازي: ١٣٣/٧، رقم ٧٥٥، وتقريب التهذيب، لابن حجر: ٤٥٣/١، رقم ٥٥١٨.

(٢) يُنظر: قاموس الرجال، للمحقق التستري: ١١/٨، رقم ٦٠٤٦.

(٣) يُنظر: قاموس الرجال: ١١/٨، رقم ٦٠٤٦.

(٤) يُنظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٢٦٩/٥، رقم ١٣٢، والأنساب، للسمعاني: ١٠٢/٧، رقم ٢٠٦٣.

قتادة البصري ومكانة أهل البيت عليهم السلام

إنَّ من أهمِّ شُؤُونِ الدِّينِ محوريَّة وجودِ أهلِ البيت عليهم السلام ومكانتهم في حركة الإسلامِ ووعيه؛ إذ بهم عليهم السلام قوامه وبيانه، وقد حرصوا عليهم السلام على بيان تلك المكانة وإيضاحها، وبالخصوص لمثل مَنْ فَرَضَ نفسَه على النَّاسِ إماماً، ببيان الدَّلِيلِ عليها مِنَ القرآنِ الكريمِ، أو من خلال إجاباتهم العلميَّة الدَّقيقة التي تكشفُ عن منزلتهم السَّامية التي حباهم اللهُ عزَّ وجلَّ بها، بل إنَّهم عليهم السلام ربَّوا جملةً من أصحابهم على الوعيِّ العلميِّ بتلك المكانة الرَّبَّانيَّة، حتَّى صاروا يُديرونَ الحوارَ مع مَنْ لا يعتقدُ بهم عليهم السلام إلى حدٍّ يجعلونه لا يتحرَّى جواباً.

وكان قتادة البصريُّ ممَّن رضي لنفسه أن يكونَ إماماً في الفقه يرجعُ إليه النَّاسُ، وقد قصَّدَ الإمامَ الباقرَ عليه السلام ذات يومٍ ليسأله عن مسائلٍ، فصادفه أبو حمزة الثماليُّ، وحاجَّه في بعض ما جاء به، ثمَّ قدَّمَ الإمامُ الباقرَ عليه السلام، وبادرَ عليه السلام قتادة في الحديث عن مكانة أهل البيت عليهم السلام، ثمَّ سأل قتادة الإمامَ عليه السلام عن الجُبْنِ والشُّبْهِه فيه من جهة الإنْفَحَةِ، فأوضحَ له عليه السلام حكمها والوَجْهَ فيه، وذلك فيما رواه الكلينيُّ رحمته الله بسنِّدِهِ عن أبي حمزة الثماليِّ، وقد عَمِلَ به فقهاؤنا^(١)، قال:

«كنتُ جالساً في مسجدِ رسولِ اللهِ صلَّى الله عليه وآله، إذ أقْبَلَ رجلٌ فسَلَّم، فقال: مَنْ أَنْتَ يا عبدَ اللهِ؟ قلتُ: رجلٌ من أهلِ الكوفة، فقلتُ: ما حاجتُكَ؟ فقال: أتعرِفُ أبا جعفرٍ محمَّد بن عليٍّ عليه السلام؟ فقلتُ: نعم، فما حاجتُكَ إليه، قال: هيأتُ له أربعينَ

(١) يُنظر: كشف اللثام، للفاضل الهندي: ٢٧٣/٩.

مسألة أسأله عنها، فما كان من حقٍّ آخذ به، وما كان من باطلٍ تركته، قال أبو حمزة: فقلتُ له: هل تعرفُ ما بين الحقِّ والباطلِ؟ قال: نعم، فقلتُ له: فما حاجتكُ إليه إذا كنتَ تعرفُ ما بين الحقِّ والباطلِ؟! فقال لي: يا أهل الكوفة، أنتم قومٌ ما تُطاقون، إذا رأيتَ أبا جعفرٍ فأخبرني، فما انقطع كلامي معه حتَّى أقبل أبو جعفرٍ (عليه السلام) وحواله أهل خراسان وغيرهم، يسألونه عن مناسك الحجِّ، فمضى حتَّى جلس مجلسه، وجلس الرَّجلُ قريباً منه، قال أبو حمزة: فجلستُ حيث أسمعُ الكلام، وحواله عالمٌ من النَّاسِ، فلما قضى حوائجهم وانصرفوا، التفتَ إلى الرَّجل، فقال له: مَنْ أنت؟ قال: أنا قتادة بن دعامة البصري، فقال له أبو جعفرٍ (عليه السلام): أنتَ فقيهُ أهل البصرة؟ قال: نعم، فقال له أبو جعفرٍ (عليه السلام): ويحك يا قتادة، إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ خَلَقَ خَلْقاً فَجَعَلَهُمْ حُجَجاً عَلَى خَلْقِهِ، فَهُمْ أَوْثَارٌ فِي أَرْضِهِ، قَوَامٌ بِأَمْرِهِ، نُجَبَاءٌ فِي عِلْمِهِ، اصْطَفَاهُمْ قَبْلَ خَلْقِهِ أَظْلَةً عَنِ يَمِينِ عَرْشِهِ، قال: فسكتَ قتادة طويلاً، ثمَّ قال: أصلحك الله، لقد جلستُ بين يدي الفقهاء، وقدام ابن عباس، فما اضطرب قلبي قدام واحدٍ منهم ما اضطرب قدامك، قال له أبو جعفرٍ (عليه السلام): ويحك، أتدري أينَ أنت؟ أنتَ بين يدي: ﴿بُيُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾^(١)، فأنتَ ثمَّ، ونحنُ أولئك، فقال له قتادة: صدقتَ والله، جعلني الله فداك، والله ما هي بيوتُ حجارةٍ ولا طينٍ، قال قتادة: فأخبرني عن الجبن، قال: فتبسَّم أبو جعفرٍ (عليه السلام)،

ثم قال: رجعت مسألك إلى هذا؟ قال: ضلّ عليّ، فقال: لا بأس به، فقال: إنّه ربّما جُعِلَتْ فيه إنْفَحَة الميّت، قال: ليس بها بأس، إنّ الإنْفَحَة ليس لها عروق، ولا فيها دم، ولا لها عظم، إنّما تخرج من بين فرثٍ ودم، ثم قال: وإنّما الإنْفَحَة بمنزلة دجاجة ميّنة أُخْرِجَتْ منها بيضة، فهل تأكلُ تلك البيضة؟ فقال قتادة: لا، ولا أمرُ بأكلها، فقال له أبو جعفر عليه السلام: ولم؟ فقال: لأنّها من الميتة، فقال له: فإنْ حُضِنَتْ تلك البيضة فخرجت منها دجاجة، أأكلها؟ قال: نعم، قال: فما حرّم عليك البيضة، وحلّل لك الدجاجة؟ ثم قال عليه السلام: فكذلك الإنْفَحَة مثلُ البيضة، فاشترِ الجُبْنَ من أسواق المسلمين من أيدي المصلّين، ولا تسأل عنه إلّا أنْ يأتِيكَ مَنْ يُخْبِرُكَ عنه^(١).

وفي الحديث ثلاثة حوارات:

الحوار الأوّل: بين الشاميّ وقتادة.

الحوار الثاني: بين الإمام عليه السلام وقتادة عن مكانة أهل البيت عليه السلام.

الحوار الثالث: بين الإمام عليه السلام وقتادة عن الجُبْن.

وسنأتي عليها تباعاً إن شاء الله.

الحوار الأوّل: بين الشاميّ وقتادة.

الشاميّ هو ثابت بن دينار، أبو حمزة، كوفيّ، من أصحاب الإمام زين العابدين والباقر والصّادق والكاظم عليه السلام، وكان من خيارٍ شيعتهم، ثقة، معتمدٌ في الرواية،

وقد وصفه الإمام الرضا (عليه السلام) بقوله: «أبو حمزة في زمانه كسلمان في زمانه»، مات سنة (١٥٠هـ)^(١).

وقد عُرف عن الأئمة (عليهم السلام) اجتماعهم في الحج بأصحابهم وعامة الناس؛ لتداول شأن الحج ومسائله، سواء في المدينة أم في مكة، والظاهر أن هناك مكاناً معلوماً كان للإمام الباقر (عليه السلام)، يجلس فيه في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقد سبق إليه أبو حمزة الثمالي منتظراً مجيء الإمام (عليه السلام)، ويبدو أن معلومية كون هذا المكان للإمام الباقر (عليه السلام) كان يعرفها قتادة؛ ولذا قصد نحوه، فاتفق مجيء الثمالي قبل مجيء الإمام الباقر (عليه السلام)، فسلم قتادة على أبي حمزة الثمالي، وهو لا يعرفه، فسأله من أنت؟ فقال: رجل من أهل الكوفة، والظاهر أن الثمالي لم يكن يعرف قتادة سابقاً، وأن هذا هو اللقاء الأول بينهما، ثم سأل قتادة الثمالي عن أنه يعرف أبا جعفر الإمام الباقر (عليه السلام)، فأجابته الثمالي (نعم)، وسأل قتادة عن سبب حاجته إلى الإمام الباقر (عليه السلام)، فقال قتادة: إنه أعد أربعين مسألة ليسأل الإمام الباقر (عليه السلام) عنها، فما كان حقاً أخذ به، وما كان باطلاً تركه، وإجابة قتادة هذه تكشف عن أن الرجل كان يسأل الإمام (عليه السلام) لا لاعتقاد منه به (عليه السلام)، وإنما يريد أن يسمع الإجابة من الإمام (عليه السلام) بما هو شخص عُرف عنه العلم، وقد لا يكون ما يجب به مقنعاً لقتادة، ولعله يراه باطلاً فلا يأخذ به.

وهذه الإجابة دفعت الثمالي إلى نقد قتادة في حاجته إلى الإمام الباقر (عليه السلام)،

(١) يُنظر: رجال النجاشي: ١١٥/رقم ٢٩٦، والفهرست، للشيخ الطوسي: ١٠٥/رقم

١٣٨، ورجال الشيخ: ١١٠/رقم ١٠٨٣، ورجال الكشي: ٢٨٥/رقم ٩١٩.

فسأله عن أنه: هل يعرف الحق من الباطل بنحوٍ يستطيع التمييز بينهما؟ فأجابه قتادة بـ(نعم)، فاستنكر عليه الثمالي حاجته إلى الإمام الباقر عليه السلام؛ لأن معرفته بالحق والباطل تجعل منه غير محتاج إلى الإمام عليه السلام ليعرفه ما هو حق أو ما هو باطل، وهنا أدرك قتادة خطأ إجابته، ولم يتحرر جواباً، مبيناً أن أهل الكوفة لا يطاقون في مقام الملاحظة والنقاش، وفي هذه الأثناء قدم الإمام الباقر عليه السلام وحوله جماعة يسألونه عن الحج، فانقطع حديث الثمالي وفتادة، وتوجه نحو الإمام عليه السلام. هذا، ومحاكاة الثمالي هذه مع فتادة جاءت لإثبات ضرورة وجود الإمام عليه السلام للخلق بأسلوب خفي، بعيداً عن الاستدلال المباشر بالأدلة المختلفة، معتمداً على لطافة النكتة العقلية، وهذه الطبيعة في الجدل مما أدب به أهل البيت عليهم السلام شيعتهم في المناظرة.

الحوار الثاني: بين الإمام عليه السلام وفتادة عن مكانة أهل البيت عليهم السلام

وفي هذا الحوار ثلاث جهات، وهي:

الجهة الأولى: التعارف الشخصي الأول بين الإمام عليه السلام وفتادة.

بعد أن وصل الإمام الباقر عليه السلام إلى مكانه الذي اعتاد الجلوس فيه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وحوله جماعة يسألونه عن مسائل الحج، جلس قتادة البصري قريباً منه عليه السلام، وجلس أبو حمزة حيث يسمع الكلام، وحينما فرغ عليه السلام من حوائج من جاء في صحبته ومسائلهم، التفّت إلى فتادة وسأله، من أنت؟ فقال: أنا فتادة ابن دعامة البصري، فقال عليه السلام: أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال: نعم.

وهذه الحوار يدل على أن الإمام الباقر (عليه السلام) كان قد سمع عن قتادة، وأنه ممن يرجع إليه أهل البصرة في فقههم، ولكنه لم يلتق به مسبقاً، وإن هذا هو اللقاء الأول بينهما.

الجهة الثانية: تعريف الإمام (عليه السلام) بمكانة أهل البيت (عليهم السلام).

لما أقر قتادة بكونه فقيه أهل البصرة، فهذا يعني أنه يستند في فقهه إلى مناشيء بعيدة عن الأخذ بمن نصبه الله عز وجل لهذا الشأن؛ إذ لم يكن ممن يرجع إلى أهل البيت (عليهم السلام) في معرفة الفقه، ومثل هذا الحال هو بلاء جعل قتادة نفسه فيه؛ ولذا قال له (عليه السلام): ويحك - وهي كلمة ترحم تُقال لمن نزلت به بليّة^(١) - وأخذ الإمام (عليه السلام) يُبين له مَنْ ينبغي له الرجوع إليهم في الفقه، و«إنّ هناك خلقاً جعلهم الله حُججاً على خلقه، فهم أوتاد في أرضه، قوَّامٌ بأمره، نجباء في علمه، اصطفاهم قبل خلقه أظلة عن يمين العرش»، فذكر (عليه السلام) له أربعة أوصاف لأولئك الخلق الذين جعلهم الله حُججاً على عباده، وهي: «أوتاد في أرضه»، و«قوَّامٌ بأمره»، و«نجباء في علمه»، و«اصطفاهم قبل خلقه أظلة عن يمين العرش»، وهذه الأوصاف الأربعة مترابطة فيما بينها، فهم أوتاد الله في أرضه؛ لأن الأرض إنّما تستقر وتثبت بوجود مَنْ يقوم فيها بأمر الله عز وجل، ويكون عالماً بما يريد تبارك وتعالى، فهم أوتاد في أرضه؛ لأنهم القوَّام بأمره؛ ولأنهم أصحاب المعرفة بعلمه، وهو مَنْ انتخبهم لذلك، وهذا الانتخاب لم يكن صدفةً، وإنما كان من قبل أن يخلق الخلق، وجعلهم أظلة عن يمين العرش.

(١) يُنظر: العين، للخليل: ٣/ ٣١٩، ولسان العرب، لابن منظور: ٢/ ٦٣٨.

وإن هذه الأوصاف الأربعة تفسّر - أيضاً - منشأ كونهم عليه السلام حُججاً على عباده؛ لأنهم من انتجبهم عزّ ذكره لعلمه، وجعلهم قواماً بأمره.

الجهة الثالثة: انعكاس أثر مكانة أهل البيت عليه السلام على قتادة.

وهذا الوصف المنهجيّ الدقيق من الإمام الباقر عليه السلام لمكانة أهل البيت عليه السلام أخذ أثره في نفس قتادة بمظهرين، هما: السكوت الطويل، واضطراب القلب، فإن عمق إجابة الإمام عليه السلام - ولا شك في إخلاصها وصدقها - جعلت من قتادة لا يملك شيئاً غير السكوت الطويل، وليس هذا السكوت صادراً عن شخص عاديّ، وإنما عن مثل قتادة، فقيه أهل البصرة، الذي يمتلك كمّاً من المعلومات والروايات التي تمكنه من الإجابة عمّا يواجهه من المشكلات.

وبعد سكوته الطويل بين قتادة أنّه قد اعتراه شعورٌ لم يكن يعتريه من قبل، وهو أنّ قلبه اضطرب، واختلّت حركته^(١)، وقد أدرك قتادة غرابة هذا الأمر، فمجلسه بين يدي شخصيّة علميّة لم يكن أمراً حديثاً عليه، فهو قد جلس من قبل بين يدي الفقهاء، بل جلس بين يدي ابن عباسٍ حبر الأئمة، ولم يضطرب قلبه، وقد فسّر له الإمام الباقر عليه السلام سبب ما يعتريه من اضطراب القلب، وهو أنّه يجلس بين يدي «بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال»^(٢)، وكان قتادة ممن مرّ عليه تفسير هذه الآية، وأنّه ليس المقصود (بالبیوت) بيوت الحجارة والطین، فوافقه الإمام عليه السلام في تفسيره وصدّقه فيما

(١) يُنظر: العين: ٣٢/٧، ولسان العرب: ٥٤٣/١ - ٥٤٤.

(٢) سورة النور: ٣٦.

قال، ما كشف عن دقة اختيار الإمام (عليه السلام) هذه الآية في الاستدلال عن مكانة أهل البيت (عليهم السلام) دون غيرها من الآيات والروايات؛ تناغمًا مع ما كان في نفس قتادة، وهو معرفته بتأويل هذه الآية.

الحوار الثالث بين الإمام (عليه السلام) وقتادة عن الجبن.

وفيه جهتان، الجهة الأولى: عرض قتادة لسؤاله عن الجبن وتقييم الإمام (عليه السلام) له، والثانية: توضيح الإمام حلية الجبن، وإن جعلت فيه الإنفحة.

الجهة الأولى: عرض قتادة لسؤاله عن الجبن وتقييم الإمام (عليه السلام) له.

من المسائل الفقهية القديمة التداول السؤال عن حلية أكل الجبن، من جهة أن الحليب يصيرُ جبنًا بوضع الإنفحة فيه، والإنفحة (بشكل عام) مادة تُستخرج من معدة المواشي، وقد تكون أخذت من ميتة، فيكون الجبن نجسًا؛ لأنه تكون من الحليب والإنفحة النجسة.

وقد شغلت هذه المسألة ذهن قتادة، ويظهر من كلامه الآتي مع الإمام (عليه السلام) أنه كان يعتقد بنجاسة الجبن المصنوع من إنفحة الميتة، فلا يجوز أكله، وأراد أن يعرف موقف الإمام الباقر (عليه السلام) من حلية الجبن، فسأله قائلاً: «فأخبرني عن الجبن، قال: فتبسّم أبو جعفر (عليه السلام)، ثم قال: رجعتُ مسألتك إلى هذه؟ قال: ضلّ عليّ، فقال: لا بأس به».

وتبسم الإمام الباقر عليه السلام بعد سؤال قتادة عن الجنب يُمكن أن يُقرأ بأحد نحويين، هما:

أ- إنه ينبغي أن يكون حكم الجنب وحلّية أكله من المسائل الواضحة عند مثل من يدعي نفسه فقيهاً، وبحجم قتادة البصري.

ب- إن عدول قتادة عن المسألة الأهم، وهي مكانة أهل البيت عليه السلام إلى مسألة فرعية مما يوجب الاستغراب والشفقة، فإن مكانة أهل البيت عليه السلام، وكونهم حُجج الله على عباده، هي أصل المسائل التي يُستقى منها أحكام مسائل أُخر، ففهيّة وغيرها، فينبغي أن لا يُصرَف عنها الكلام، حتّى تُستوفى وتصير من واضحات المسائل اعتقاداً وعملاً؛ ولذا تبسم الإمام عليه السلام، فيما ترك قتادة الحديث عن ذلك الأصل الأصيل إلى مسألة فرعية مهما طال الكلام فيها فهي تُعدّ صغيرة القيمة إزاء محورية أهل البيت عليه السلام في معرفة الدين، أصولاً وفروعاً، والظاهر أن هذا الاحتمال هو الأقرب.

الجهة الثانية: توضيح الإمام عليه السلام حلّية الجنب وإن جُعِلت فيه الإنفحة. يبيّن الإمام الباقر عليه السلام أن الجنب لا بأس به، فهو طاهرٌ وحلال الأكل، إلّا إن الشبهة عرضت لقتادة في عدم حلّية الجنب، وهي أنّه قد توضع الإنفحة في الحليب ليكون جنباً، وهي ربّما أخذت من الميتة، فيكون الجنب نجساً وغير حلال الأكل، فأجابه عليه السلام أن الإنفحة حلال وإن أخذت من الميتة؛ لأنّها ممّا لا تحلّ الحياة، كالظفر والشعر، فهي ليس لها عروق (شرايين وأوردة)، ولا دم

ولا عظم؟ ثم قربَ عليه له حال الإنفحة، وأنها كالبيضة التي أُخرجت من دجاجة ميّنة، فهي حلال الأكل وطاهرة، لكنّ قتادة فاجأ الإمام (عليه السلام) ثانية، بأنّه لا يرى حلّة أكل البيضة؛ لأنها أُخرجت من الدجاجة الميّنة، فنقصَ عليه إجابته بتساؤل، وهو: لو أنّ تلك البيضة التي أُخرجت من الدجاجة الميّنة احتضنت فصارَت دجاجة، هل يحلُّ أكل لحمها؟ فأجاب قتادة: نعم، فسأله (عليه السلام): إذن، لماذا كانت البيضة حراماً، وعندما أصبحت دجاجةً صارت حلالاً؟! إذن، الإنفحة حلالٌ، وإن أُخذت من الميّنة، فهي كالبيضة التي أُخذت من دجاجة ميّنة.

ثم بين له (عليه السلام) قاعدةً كليّةً، وهي قاعدةٌ حلّية ما في سوق المسلمين ما لم يَقم الدليل على حرمة الشيء بعينه؛ ولذا أمره أن يشتري الجُبْن من سوق المسلمين، ولا يسأل عن الإنفحة التي جُعِلت فيه، هل هي مأخوذة من الميّنة أو من المذكّى، نعم، إذا أخبره الثّقّة بأنّ هذا الجُبْن بعينه نجسٌ كان نجساً.

ثم إنّ الإنفحة - بكسر الالف وفتح الفاء - ذُكر في تحديد معناها أمران: الأول: وهو مرادُ الإمام (عليه السلام) ظاهراً، ما يرتضعه الجدي أو السّخل من الحليب، ويتحوّل في معدته إلى مادّة صفراء ما دام لم يأكل^(١)، وهذه المادّة الصّفراء هي الإنفحة، وهي حلال حتّى لو أُخذت من معدة الجدي أو السّخل،

(١) ينظر العين: ٢٤٩/٣، والصّحاح، للجوهري: ٤١٣/١ و ١٠١٧، ومستمسك العروة الوثقى، للسيد محسن الحكيم: ٢٠٨/١، وجامع المدارك، للمحقّق الخوانساري: ١٦٢/٥.

وهو ميتة، لكن يجب غسل ظاهرها لملاقاته بدن الميتة وهو باطن المعدة.
الثاني: الغشاء الأصفر الذي يغطي داخل معدة المواشي، ومثله لا يكون
مختصاً بما يرضع منهما، بل شامل لهما ولغيرهما، ويكون نجساً فيما لو أخذ من
معدة الميتة.

قتادة البصري والتفسير بالرأي

تفسير القرآن من المعارف الإسلامية الحيوية، التي ظهرت مع ظهور القرآن الكريم، وقد زاوله النبي الأكرم ﷺ، وأمير المؤمنين عليه السلام، وجملة من الصحابة الذين كانوا يستقون علومهم منها عليه السلام، كابن مسعود، ولكن أُبتلي التفسير بتصدّي جملة من الأشخاص من غير أن تكون لهم الأهلية الكافية لخوضه، بل كانوا يستندون فيه إلى فهمهم وآرائهم الشخصية، وهو ما عُرف بـ«التفسير بالرأي»، وقد اتفقت الفرق الإسلامية على حرمة، وأنه افتراء على الله عز وجل، وأن صاحبه وإن أصاب فقد أخطأ^(١).

ومن تصدّي لذلك قتادة البصري، وقد جمعه المجلس بالإمام الباقر عليه السلام، فسأله عليه السلام عما سمعه عنه من تفسيره القرآن، وهل تفسيره بعلم أو بجهل، ثم بين عليه السلام له أنه إنما يفسره بغير علم بعد أن عرض عليه آية ليفسرها، ثم أوضح له خطأ تفسيره، وذلك فيما رواه الشيخ الكليني بسنده عن زيد الشحام، قال: «دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر عليه السلام، فقال: يا قتادة، أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال: هكذا يزعمون، فقال أبو جعفر عليه السلام: بلغني أنك تفسر القرآن، فقال قتادة: نعم، فقال له أبو جعفر عليه السلام: بعلم تفسره أم بجهل؟ قال: لا، بعلم، فقال له أبو جعفر عليه السلام: فإن كنت تفسره بعلم فأنت أنت، وأنا أسألك، فقال له قتادة: سل، قال: أخبرني عن قول الله عز وجل في سبأ: ﴿وَقَدْ رَزَقْنَاهَا الْسَّيْرَ سَيْرُوا فِيهَا﴾

(١) ينظر: التوحيد، للصدوق عليه السلام: ص ٦٦، ح ٢٣، وتفسير الطبري: ٤٠ / ١ - ٤١.

لِيَايَ وَيَا مَأْمِنِينَ^(١)، فقال قتادة: وذلك مَنْ خرج مِنْ بيته بَزَادٍ حلالٍ وراحلةٍ وكِرَاءٍ يُريد هذا البيت، كان آمناً حتَّى يرجعَ إلى أهله، فقال أبو جعفر عليه السلام: أنشدنكَ الله يا قتادة، هل تعلم أَنَّهُ قد يخرج الرَّجُلُ مِنْ بيته بَزَادٍ حلالٍ وراحلةٍ وكِرَاءٍ حلالٍ يُريد هذا البيت، فيُقطعَ عليه الطَّرِيقُ، فتذهب نفقته، ويُضرب مع ذلك ضربةً فيها اجتياحه؟ قال: اللَّهُمَّ نعم، فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة، إِنَّ كُنْتَ إِنَّمَا فَسَّرْتَ مِنْ تلقاءِ نَفْسِكَ، فقد هلكَ وأهلكَ، وإنْ كُنْتَ قد أخذته مِنَ الرَّجَالِ، فقد هلكَ وأهلكَ، ويحك يا قتادة، ذلك مَنْ خرج مِنْ بيته بَزَادٍ وراحلةٍ وكِرَاءٍ حلالٍ يَوْمُ هذا البيت عارفاً بحَقِّنا، يهوانا قلبه، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾^(٢)، ولم يعنِ البيت، فيقول: (إليه)، فنحنُ والله دعوة إبراهيم عليه السلام، التي مِنْ هوانا قلبه قُبِلَتْ حِجَّتُهُ، وإلا فلا، يا قتادة: إذا كان كذلك كان آمناً مِنْ عذاب جهنَّمَ يَوْمَ القيامة، قال قتادة: لا جرم والله، لا فسَّرتها إلا هكذا، فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة، إِنَّمَا يعرف القرآنُ مَنْ حُوطِبَ به^(٣).

(١) سورة سبأ: ١٨.

(٢) سورة إبراهيم: ٣٧.

(٣) الكافي: ٨ / ٣١١، ح ٤٨٥.

وفي مُضاد الحديث عدّة أمور، وهي:

أولاً: الظاهر أنّ المجلس الوارد في خبر زيد الشحام^(١)، الذي جمع قتادة بالإمام الباقر (عليه السلام)، هو نفسه الذي تقدّم عن أبي حمزة الثمالي، ودار فيه الحديث عن مكانة أهل البيت (عليهم السلام)، وسأله فيه قتادة عن حليّة الجُبْن والشُّبْهة فيه من جهة الإنفحة، وقد نُقِلَ لنا عن أبي حمزة شطُرٌ منه، والشطُرُ الآخر هو ما نقله زيد الشحام من حديثه (عليه السلام) مع قتادة عن التفسير بالرأي.

ويشهد لهذه الوحدة بين الخبرين سؤال الإمام (عليه السلام) قتادة، هل هو فقيه أهل البصرة؟ فإنّ مثل هذا السؤال إنّما يعرض في التعارف الأول بين الشخصين، ولا يتكرّر مرّةً أخرى، خصوصاً بعد معرفة الإمام (عليه السلام) قتادة من السؤال الأول. ثانياً: كان ممّا سمعه الإمام الباقر (عليه السلام) عن قتادة هو تصديّه لتفسير القرآن، فسأله (عليه السلام) عن ذلك، فأقرّ قتادة به، فعاود (عليه السلام) سؤاله عن مستند تفسيره، وهل هو العلم أو الجهل؟ فقال: إنّ تفسيره بعلم، فقال له الباقر (عليه السلام): إنّ كنت تُفسّره بعلم فأنّت أنت، أي: تستحقّ أن تُذكر ويُشارَ إلى شخصك.

ثمّ أراد (عليه السلام) أن يوضّح له أنّه ممّن لا يفسّر القرآن بعلم، فعرض عليه قوله تعالى من سورة سبأ ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالٍ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾، فذكر قتادة في تفسيره أنّه: ممّن يخرج إلى الحجّ بزادٍ وراحلةٍ وكِراءٍ (أجرة) حلالٍ يكون آمناً حتّى يرجع إلى أهله، فنقّض (عليه السلام) تفسير قتادة بأنّ هناك ممّن الناس ممّن يخرج

(١) هو زيد بن يونس، أبو أسامة الشحام، الثقة. ينظر: الفهرست: ١٢٩ / رقم ٢٩٨.

بزادٍ وراحلةٍ وكراءٍ حلالٍ إلى هذا البيت، لكنه يُقَطَّعُ عليه الطريق، وتُنْهَبُ نفقته، ولعله يُضْرَبُ إلى حدِّ الموت، فقال قتادة: بالفعل يوجد مثل هذا الحال، وهذا يعني أنه أقرَّ بخطأ تفسيره، وخطأ تفسيره يدلُّ على أنه لم يكن تفسيراً بعلم. ثالثاً: بعد أن أقرَّ قتادة بنقض الإمام عليه السلام تفسيره بين الإمام عليه السلام له صورتين من صور تفسير القرآن بغير علم، قائلاً: «ويحك - يا قتادة - إن كنت إنما فسرت من تلقاء نفسك، فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت قد أخذته من الرجال، فقد هلكت وأهلكت»، وهما:

أ- أن يكون تفسيره للآية من تلقاء نفسه من غير أن يستند فيه إلى مستندٍ علميٍّ، وهذا هو التفسير بالرأي المنهي عنه بالاتفاق.

ب- أن يكون قد أخذ تفسيره من أفواه الرجال ممن لم يكن أهلاً لهذه المهمة. وفي كلا الاحتمالين يكون في ذلك هلاك قتادة ومن تبعه؛ لأنه من القول بغير علم والافتراء على الله عز وجل؛ ولذا قال عليه السلام له: (ويحك)، وهي كلمة ترحم تُقال لمن نزلت به بليّة، وأيُّ بلاءٍ أعظم من أن يكون الإنسان في موطن غضب الله عز وجل، وهو يحسب أنه في رحمته، ومن العلماء بقرآنه، وهو يفسره بغير علم؟! علم!

رابعاً: بين عليه السلام له التفسير الصحيح للآية، وأنه من خرج بزادٍ وراحلةٍ وكراءٍ حلالٍ، وهو ممن يعتقد بأهل البيت عليه السلام، ويهواهم قلبه، كان آمناً حتى يرجع إلى أهله، واستدلَّ عليه السلام لهذا التفسير بدعوة النبي إبراهيم عليه السلام وآله

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَكَوْنِ الضَّمِيرِ الْمُسْتَعْمَلِ فِيهَا ضَمِيرَ الْجَمْعِ الْمَذْكُورِ، وَلَيْسَ ضَمِيرَ الْمَفْرَدِ لِيَعُودَ عَلَى بَيْتِ اللَّهِ ﷻ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^(١)، فَالنَّبِيُّ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) بَعْدَ أَنْ سَكَنَ عِنْدَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، دَعَا لَذُرِّيَّتِهِ بِأَنْ تَهْوَاهُمْ أَفْنَدَةُ النَّاسِ، وَلَمْ تَكُنْ دَعْوَاهُ (عليه السلام) لِأَنْ تَهْوَى أَفْنَدَةُ النَّاسِ الْبَيْتَ الْحَرَامِ، وَإِلَّا لَكَانَ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام): ﴿فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: ﴿تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ (عليهم السلام) مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام)، وَقَدْ أَوْضَحَ الْإِمَامُ الْبَاقِرُ (عليه السلام) أَنَّهُمْ هُمُ الْمَقْصُودُونَ بِتِلْكَ الدَّعْوَةِ الْإِبْرَاهِيمِيَّةِ بَعْدَ وَضُوحِ عَدَمِ إِمْكَانِ عَمُومِ دَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) لِجَمِيعِ بَنِيهِ، كَيْفَ وَفِيهِمُ الْعَصَاةُ وَالْكَفَرَةُ؟

وَبِذَلِكَ بَيَّنَّ (عليهم السلام) -أَيْضاً- أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ التَّفْسِيرِ بَغَيْرِ عِلْمِ الْإِسْتِنَادِ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ إِلَى مِلَاحَظَةِ الْآيَاتِ الْآخَرِ وَجَمْعِ مَعَانِيهَا مِمَّا يُعْرَفُ بِ«تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ»، وَكَذَا الْإِسْتِنَادُ إِلَى الطَّرِيقِ الْعِلْمِيَّةِ الْآخَرِ، وَمِنْهَا قَوَاعِدُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، كَاسْتِنَاقِ نَوْعِ الضَّمِيرِ وَمَرْجِعِهِ.

وَإِخْتِيَارُهُ (عليه السلام) هَذِهِ الْآيَةَ يَكْشِفُ مَرَّةً أُخْرَى عَنِ الْمَنْزِلَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْمَعْرِفِيَّةِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ (عليهم السلام) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَخُصُوصِيَّاتِ آيَاتِهِ، وَإِنَّهُ (عليه السلام) أَعَادَ فِتَادَةَ ثَانِيَةً لِلْحَدِيثِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ الْأُمِّ، وَهِيَ الْحَدِيثُ عَنْ مَكَانَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ (عليهم السلام) وَقِيَمَتِهِمْ فِي الْمَنْظُومَةِ الدِّينِيَّةِ.

وهنا أمر وهو:

إنّ التفسير الذي عرضه قتادة للآية التي سأله الإمام الباقر عليه السلام عن تفسيرها غير منطبق عليها؛ إذ إنّ الآية تتحدّث عن سبأ، وهي أرض في اليمن، مدينتها مأرب، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام^(١)، وقد قصّ القرآن بعض شأنها، وأنّه قد قدر السَّيرُ بينها وبين القرى الأخر، بنحوٍ كان الغادي منهم يُقِيلُ في قريةٍ، والرائحُ يبيتُ في قريةٍ إلى أن يبلغَ الشَّامَ، لا يخافُ جوعاً ولا عطشاً، ولا عدوّاً، ولا يحتاجُ المسافر إلى حملِ زادٍ ولا ماءٍ، فلا يتكلّفُ أعباءَ مؤونة السَّفر، فضلاً عن الأمان بين تلك القرى؛ إذ كان بإمكان أهلها أن يسيروا بينها ليلاً ونهاراً، لكنّهم بطّروا هذه النعمة ولم يشكروها، بل دعوا الله عز وجل أن يباعده بين أسفارهم، فنزل عليهم العذابُ، فمزّقوا كلّ ممزّقٍ، وصاروا مضرباً للمثل، حتّى قيل: تفرّقوا أيدي سبأ^(٢).

ومن ثمّ فلا ارتباط لهذا المعنى بما ذكره قتادة من أنّ الحاج إذا خرج بزادٍ وراحلةٍ وكِراءٍ حلالٍ كان آمناً حتّى يرجعَ إلى أهله، والملاحظ أنّ الإمام الباقر عليه السلام لم ينتقده من هذه الجهة من تفسيره، وإنّما انتقده في تعميمه لكلّ مَنْ خرج حاجّاً بمتاعٍ حلالٍ، ولم يقيده بخصوص مَنْ كان قلبه يهوى أهل البيت عليه السلام.

(١) يُنظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي: ٣/ ١٨١.

(٢) يُنظر: الكشف، للزنجشري: ٣/ ٢٨٥، والميزان، للسيد الطباطبائي: ١٦/ ٣٦٥.

وَمِنْ هُنَا احْتِمَالُ بَعْضِ الْمَفْسَّرِينَ أَنَّ هُنَاكَ سَقْطًا فِي الرَّوَايَةِ^(١)، وَلَعَلَّهُ (عليه السلام) سَأَلَ عَنْ مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٢)، وَأَمَّا الْآيَةُ مِنْ سُورَةِ سَبَأٍ، فَإِنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ مَا دَارَ مِنَ الْكَلَامِ حَوْلَهَا بَيْنَ الْإِمَامِ (عليه السلام) وَفَتَادَةِ، وَلَعَلَّهُ مَا سَيَأْتِي فِي الْمَقْطَعِ الْلاحِقِ، أَوْ أَنَّهَا ذِكْرٌ سَهْوًا مِنْ قَبْلِ بَعْضِ الرُّوَاةِ.

خَامِسًا: إِنَّ قَوْلَهُ (عليه السلام): «إِنَّمَا يَعْرِفُ الْقُرْآنَ مَنْ خُوطِبَ بِهِ» لَا يُرِيدُ مِنْهُ (عليه السلام) عَدَمَ إِمْكَانِ فَهْمِ الْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ عَامَّةِ النَّاسِ، وَإِلَّا فَهَذَا خِلَافُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ نَفْسِهِ، الَّذِي دَعَا إِلَى التَّدَبُّرِ بِآيَاتِهِ، وَخِلَافَ مَا رُوِيَ عَنْهُمْ (عليهم السلام) بِالْأَمْرِ بِالرُّجُوعِ إِلَى الْقُرْآنِ فِي مَعْرِفَةِ جَمَلَةٍ مِنَ الْأَحْكَامِ وَشُرُوفِهَا، كَتَعَارُضِ أَدْلَتِهَا، وَإِنَّمَا «الْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الرُّوَايَاتِ وَأَمْثَالِهَا أَنَّ فَهْمَ الْقُرْآنِ حَقٌّ فَهْمُهُ، وَمَعْرِفَةُ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، وَنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ مَخْتَصٌّ بِمَنْ خُوطِبَ بِهِ»^(٣)، وَيَشْهَدُ لَذَلِكَ أَنَّهُ (عليه السلام) حِينَئِذٍ اسْتَدَلَّ بِالْآيَةِ الَّتِي تَضَمَّنَتْ دَعْوَةَ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) اسْتِعَانِ بِقَوَاعِدِ عِلْمِيَّةٍ مَعْرُوفَةٍ عِنْدَ ذَوِي الْإِخْتِصَاصِ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ، وَهِيَ نَوْعُ الضَّمِيرِ وَمَرْجَعُهُ.

(١) يُنْظَرُ: الْفَيْضُ الْكَاشَانِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ الصَّافِي: ٢٢/١.

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ١٢٦.

(٣) الْبَيَانُ، لِلسَّيِّدِ الْخُوئي: ص ٢٦٨، وَيُنْظَرُ: الْفَوَائِدُ الْمَدْنِيَّةُ، لِمُحَمَّدٍ أَمِينِ الْاِسْتِرَابَادِيِّ: ص ٢٧٠.

قتادة البصريُّ وسؤاله عن تفسير بعض الآيات

تفسير القرآن الوارد عن أهل البيت عليهم السلام كان بمستوياتٍ مختلفةٍ، منها ما هو تفسيرٌ وبيانٌ لما هو ظاهرُ الآية ومورد انطباقها بحسب النزول، ومنها ما هو من بابِ الجري والانطباق، ومنها ما هو من بابِ بيانِ باطنِ الآية والمعنى العميق لها، الذي لا يُدركه عامّة الناس، وهم عليهم السلام يتخذون إحدى هذه الطّرق في مقام التفسير حسب مقتضى الحال من طبيعة السّائل والحضور وأمثالها، ومن ذلك ما سأل عنه قتادة البصريُّ الإمام الباقر عليه السلام عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، وقد استثمر الإمام عليه السلام سؤال مثل قتادة البصريِّ، الذي ما زال يعتقدُ بغير أهل البيت عليهم السلام خلفاء للنبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله، وفسّر له الآية ببيان أحد موارد انطباقها، وهو تخلف القوم عن الالتزام بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك فيما رُوِيَ عن زيد الشحام، قال: «دَخَلَ قَتَادَةُ بْنُ دَعَامَةَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، وَسَأَلَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾، قَالَ: لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهَ صلّى الله عليه وآله أَنْ يَنْصَبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِلنَّاسِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ فِي عَلِيٍّ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله بِيَدِ عَلِيٍّ بِغَدِيرِ خَمٍّ، وَقَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، حَتَّى الْأَبَالَسَةُ التَّرَابِ عَلَى رُؤُوسِهَا، فَقَالَ لَهُمْ إِبْلِيسُ الْأَكْبَرُ - لَعْنَهُ اللَّهُ - مَا لَكُمْ، قَالُوا: قَدْ عَقَدَ هَذَا الرَّجُلُ الْيَوْمَ عُقْدَةً لَا يَحُلُّهَا شَيْءٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ لَهُمْ إِبْلِيسُ: كَلَّا، إِنَّ الَّذِينَ حَوْلَهُ قَدْ وَعَدُونِي فِيهِ عِدَّةً، وَلَنْ يُخْلَفُونِي فِيهَا، فَأَنْزَلَ

(١) سورة سبأ: ٢٠.

الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾،
يعني شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام)^(١).

فإن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾^(٢)، وإن نزلت في سياق
حديث القرآن عن سبأ، وكيف بطر أهلها نعمتهم، وإن إبليس قد صدق ظنه
فيهم، وصدق ظن إبليس حينما توعد باغواء بني البشر، إلا القليل في قوله
تعالى: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾^(٣)، و﴿وَلَا تَحْدُ أَكْثَرُهُمْ
شَاكِرِينَ﴾^(٤)،^(٥) ولكنه (عليه السلام) قد طبق هذا المعنى التفسيري على ما جرى مع القوم
حينما أنكروا ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) من بعد ما بينها لهم النبي الأكرم (عليه السلام).

وقوله (عليه السلام) في هذه الرواية: فأنزل الله سبحانه ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ
ظَنَّهُ﴾، ليس المراد به نزول الوحي، بل على نحو الانطباق والجري، فإن
الآية القرآنية لا تموت بموت القوم الذين وردت فيهم^(٦)، ويشهد لذلك أن
هذا المعنى التفسيري ورد عنه (عليه السلام) في الكافي الشريف، لكنه عبر بدل (فأنزل)
بـ(تأويل هذه الآية)، وذلك فيما رواه عن جابر عن الإمام الباقر (عليه السلام) في حديث

(١) تأويل الآيات الظاهرة، للسيد شريف الدين الحسيني (ت ٩٤٠هـ): ١/ ٤٦٣ -

٤٦٤، وينظر: الكافي: ٨/ ٣٤٤، ح ٥٤٢.

(٢) سورة ص: ٨٢ و ٨٣، وكذلك، سورة الحجر: ٣٩ و ٤٠.

(٣) سورة الأعراف: ١٧.

(٤) سورة الأعراف: ١٧.

(٥) يُنظر: تفسير الميزان: ١٦/ ٣٦٦.

(٦) يُنظر: تفسير العياشي: ٢/ ٢٠٣، ح ٦.

طويل عن غدير خم، ورد في ذيله: «وتلا أبو جعفر ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، كان تأويل هذه الآية لما قبض رسول الله ﷺ، والظن من إبليس حين قالوا لرسول الله ﷺ إنه ينطق عن الهوى، فظن بهم إبليس ظناً فصدقوا ظنه»^(١).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- ١- الأئمة الاثني عشر، سيرة وتاريخ، الشيخ محمد حسن آل ياسين، طبعة منشورات الاجتهاد.
- ٢- أئمة أهل البيت عليهم السلام ودورهم في تحصين الرسالة الإسلامية، السيد محمد باقر الصدر (ت ١٤٠٠هـ)، طبعة شريعت، قم.
- ٣- الأنساب، عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت ٥٦٢هـ)، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد.
- ٤- البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي (ت ١٤١٣هـ)، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط ٤، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
- ٥- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين الحسيني الاستربادي (توفي نحو ٩٦٥هـ)، تحقيق مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، طبعة أمير، قم، ط ١، ١٤٠٧هـ.
- ٦- التفسير الصافي، الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، صححه وقدم له وعلق عليه الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الهادي، قم، ط ٢، ١٤١٦هـ.
- ٧- تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠هـ)، تحقيق الحاج هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.
- ٨- تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دراسة وتحقيق

مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٩ - تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق السيّد حسن الخرسان، دار الكتب العلميّة، طهران، ط ٣، ١٣٦٣ ش.

١٠ - التوحيد، الشيخ الصدوق محمد بن عليّ بن بابويه القميّ (ت ٣٨١ هـ)، تصحيح وتعليق السيّد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قم.

١١ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تقديم الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج، صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

١٢ - جامع المدارك في شرح المختصر النافع، السيّد أحمد الخوانساري (ت ١٤٠٥ هـ)، تعليق علي أكبر غفاري، مكتبة الصدوق، طهران، ١٤٠٥ هـ.

١٣ - الجرح والتعديل، أبو حاتم الرازي (ت ٣٢٧ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م.

١٤ - رجال الطوسي، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق: جواد قيومي الأصفهاني، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قم، ١٤١٥ هـ.

١٥ - رجال الكشي، محمد بن عمرو الكشي (ت ٤٦٠ هـ)، تصحيح وتعليق

ميرداماد الاسترباديِّ، تحقيق السيّد مهدي الرجائيِّ، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، قم، ١٤٠٤هـ.

١٦- رجالُ النّجاشيِّ، أحمد بن عليّ النّجاشيِّ (ت ٤٥٠هـ)، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قم.

١٧- سيّرُ أعلام النبلاء، محمّد بن أحمد الذهبيِّ (ت ٧٤٨هـ)، إشراف وتخرّيج شعيب الأرناؤوط، تحقيق حسين الأسد مؤسّسة الرّسالة، بيروت - لبنان، ط ٩، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٨- الصّواعقُ المحرّقة، ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ)، مؤسّسة الرّسالة، بيروت - لبنان.

١٩- الطبقاتُ الكبرى، محمّد بن سعد (ت ٢٣٠هـ)، دار صادر - بيروت.

٢٠- طبقاتُ المفسّرين، محمّد بن عليّ الداووديِّ، دار الكتب العلميّة - بيروت.

٢١- العين، الخليل بن أحمد الفراهيديِّ (ت ١٧٥هـ)، دار ومكتبة الهلال.

٢٢- الفهرست، محمّد بن الحسن الطوسيِّ (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: جواد القيوميِّ،

مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قم، ط ١، ١٤١٧هـ.

٢٣- الفوائدُ المدنيّة والشواهدُ المكيّة، محمّد أمين الاسترباديِّ (ت ١١١٩هـ)،

تحقيق الشيخ رحمة الله الرّحمتي الأراكيِّ مؤسّسة النشر الإسلاميّة، قم.

٢٤- قاموسُ الرّجال، محمّد تقي التستريِّ، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم،

ط ١، ١٤١٩هـ.

- ٢٥- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، صححه وعلّق عليه علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٥، ١٣٦٣ ش.
- ٢٦- الكشف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م.
- ٢٧- كشف الثّام، الفاضل الهندي (ت ١١٣٧هـ)، تحقيق مؤسّسة النشر الإسلامي قم، ط ١، ١٤١٦هـ.
- ٢٨- مستمسك العروة الوثقى، السيّد محسن الحكيم (ت ١٣٩٠هـ)، منشورات مكتبة السيّد المرعشي، قم، ١٤٠٤هـ.
- ٢٩- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- ٣٠- معرفة الثّقات، أحمد بن عليّ العجلي (ت ٢٦١هـ)، مكتبة الدّار، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٠٥هـ.
- ٣١- الميزان في تفسير القرآن، السيّد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم.

فهرس المحتويات

٥	مقدّمة المركز
٦	المقدّمة
٨	ترجمة الإمام الباقر عليه السلام
١٠	ترجمة قتادة البصريّ
١١	قتادة البصريّ ومكانة أهل البيت عليهم السلام
٢٢	قتادة البصريّ وتفسير القرآن بالرأي
٢٩	قتادة البصريّ وسؤاله عن تفسير بعض الآيات
٣٢	المصادر والمراجع
٣٦	فهرس المحتويات